

التزكية للمصلحين (٤)

الشيخ أحمد السيد.



الفهرس

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا، طيبًا، مباركًا فيه، كما يحب ربنا تبارك وتعالى ﷻ ويرضى، اللهم لك الحمد ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، الحمد لله الذي هو في عليائه سميع قريب، وهو بعباده رحيم ودود، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك مُحمَّد.

أما بعد... لا زلنا في سلسلة التّزكية للمصلحين، وهذه السِّلسلة مترابطة الموضوعات، لا يُغني موضوع منها عن الآخر، بدأنا بإثبات مركزية التَّزكية، وأنها كانت في حياة النبي ﷺ، وفي تعامله مع أصحابه، وفي تربيته لهم، كانت في الوسط، وفي المِحوَر، وفي المركز، لم تكن أخذت شيئًا يسيرًا مِن الوقت، أو مِن الجهد، أو مِن العناية، بل أخذت صميم العناية النَّبوية، وأثبتنا في تلك المحاضرة: كيف نستدل على أن الشَّيء مركزي في حياة النبي ﷺ أصلًا؟ ومنه التَّزكية، أليس كذلك؟

ثم انتقلنا في المحاضرة التَّالية والثَّانية إلى معالم التَّزكية، معالم التَّزكية التي هي خارطة التَّزكية العامة: ما هي هذه التَّزكية؟ ما الذي تتضمنه؟ ما الذي يدخل فيها؟، ثم بعد ذلك -بعد أن تصورنا القضية بشكل جيد، وأدركنا أهميتها- انتقلنا إلى الوسائل: كيف نحقق؟ كيف نصل إلى هذه التَّزكية؟

وكانت الوسائل، محاضرة الوسائل مُوَزَّعة على محاضرة المعالِم، يعني على نفس خارطة معالم التَّزكية التي أخذناها، جاءت محاضرة الوسائل موزعة على تلك الخارطة، فكيف تُحقق الوسائل تلك المعالم؟ على أنَّ محاضرة الوسائل قد ابْتُدِئت بـ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾، فهي مِن الله سبحانه وتعالى ﷻ، والوسائل هي أسباب.

العوائق التي تُعيق طالب التَّزكية عن الوصول إلى التَّزكية:

حسنًا، أخذنا الأهمية، والماهية، والوسائل، بقي أن نأخذ العوائق، والحواجز، والحُجُب، والمثبِّطات، التي تُعيق طالب التَّزكية، عن الوصول إلى التَّزكية، وأن تعرض الشَّيء مبينًا حقيقته، وأهميته، ووسائله، فهذا أحيانًا وإن كان مفيدًا ومُثريًا، إلَّا أنه لا يكون كافيًا، حتى تُبيِّن ما الذي يمكن أن

يظهر لك في الطريق فيُعِيق، ما الذي يمكن أن يكون حاجزًا أو مانعًا؛ حتى تتنبه له مُبكِّرًا، وبذلك تكمُل بإذن الله عملية التَّزكية.

ونظرًا لكثرة العوائق، وتشعُّبها، فلا يُمكن أن تُقَدَّم في محاضرة واحدة، لذلك ستكون هذه المحاضرة، والمحاضرة التالية بإذن الله عن العوائق، وأرجو أن نستطيع إنهاءها في المحاضرتين، وألا نُضطر إلى محاضرة ثالثة. وبهذا المجموع: "المركزية، والأهمية، فالمعالم، فالوسائل، فالعوائق"، أرجو أن يكون موضوع التَّزكية قد قُدِّم بشمولية، وبعرض مُفصل، وبِذِكر آليات ووسائل وعوائق، تعين بعد ذلك بإذن الله تعالى ﷻ إلى الوصول إلى: النَّاحية العملية؛ لأننا هنا لسنا في مقام يُراد منه وله أن يكون تنظيريًّا مُجرَّدًا، أي ليست الثَّمرة هي أن نخرج ببحث ورقي، أو معرفي إلكتروني، في أنَّ: هذه هي التَّزكية، وهذه هي خارطتها، وهذه هي معالمها، بل هذه مقدِمة نظرية، ممزوجة بوسائل عملية، يُرجى منها تحقيق القضية العملية.

سأتحدث عن العوائق في محورين، وهذان المحوران، كما قلت سيستغرقان لقاءين كاملين، أو ثلاثة.

١) المحور الأول: وهو عوائق التَّزكية مِن حيث مصادرها. ما معنى: مِن حيث مصادرها؟ ج: أي أنني سأتحدث عن المصادر التي تسبب العوائق، المصادر عائدة على العوائق وليست على التَّزكية، عوائق التَّزكية مِن حيث مصادرها، أي أنني سأتحدث عن مصادر وأسباب، تؤدي إلى نشوء العوائق، هذا المِحور الأول.

٢) في المحور الثاني سأتحدث عن: عوائق التَّزكية مِن حيث مَضامينها. مضامينها يعني ما هي العوائق؟ أي تفاصيل العوائق؟، هناك عوائق كذا وهناك عوائق كذا، وهذه تنقسم إلى كذا وهذه كذا، ثم -وهذا مهم تتنبهون له في الخارطة لم أُفرِده في محور، هو في بطن المحور الثاني-: (حلول تلك العوائق)، يعني: سأعرض العائق، وأعرض معه بعض الحلول.

صار هذان المحوران، وهاتان النُّقطتان هما المرَافِقَتان في عنوان العوائق، عوائق التَّزكية.

المحور الأول: عوائق التَّزكية مِن حيث مصادرها:

ما المصادر التي يمكن أن تُنتج العوائق، وتحول بيننا، وبين الوصول إلى التَّزكية التي عرفنا معالمها؟، تلك التَّزكية الشَّريفة، العالية، التي هي كما ذكر الشاطبي -رحمه الله- خُلاصة مقاصد الشَّريعة أصلًا، يعني أن الشَّريعة جاءت لِتَصل إلى هذه الحالة، التي قال فيها: "وقصْد الشَّارِع مِن وضع الشَّريعة، هو إخراج المكلف مِن داعية هواه، حتى يكون عبدًا لله طوعًا أو اختيارًا، كما هو عبدٌ له اضطرارًا".

- **ما المصادر التي يمكن أن تكون سببًا لعوائق التَّزكية؟**

عندنا أربعة مصادر:

١) **المصدر الأول** هو: النَّفس.

٢) **المصدر الثاني**: الشَّيطان.

٣) **المصدر الثالث**: البيئة المحيطة، وتشمل: أصدقاء، مجتمع، ثقافة سائدة، أفكار مُهَيْمِنة، إلى آخره...

٤) ماذا تتوقعون **المصدر الرَّابع**؟ أجاب أحد الطُّلاب: عدم التوفيق.

الأستاذ: عدم التوفيق يدخل في كل شيء، دعوني أسألكم سؤالًا، سؤالٌ مهم ذكرني به عندما قال عدم التوفيق، هو قال: عدم التوفيق، وأنا قلت له: عدم التوفيق هو مرتبط بكل المصادر، فما هو الدليل القرآني على أن عدم التوفيق مرتبط بواحد من المصادر التي ذكرتها، الثلاثة؟ هكذا: أنَّ الله يُعاقب إنسانًا فيبعده عن التَّزكية، عبر واحدة مِن هذه المصادر الثلاثة، لكنها مِن عقوبة الرَّحمن له؟ أنا لا أقول اِئتوا بدليل على أن النفس يمكن أن تكون عائقًا، أجاب أحد الطلاب فقال له الأستاذ: أحسنت مائة بالمائة: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾، هذا الآن مصدر، المصدر هو الشيطان صح، لكن السَّبب هو خذلان الله للعبد، وعدم توفيقه له، بسبب: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ﴾، واضحة الفكرة، طيب، فعدم التَّوفيق هي داخلة في كل المصادر، لكن المصدر محدد: نفس، شيطان، بيئة: تشمل أصدقاء سوء، تشمل ثقافة، هناك مصدر رابع، يعني هو ممكن يدخل في البيئة، أجاب

الطُّلاب: غلبة الباطل. قال الأستاذ: جميل، غلبة الباطل، أنا سميتها الأعداء، وسأُبيّن كيف أنَّ هناك علاقة، خاصة في الزَّمن المعاصر، بين أهل الباطل وأعداء الإسلام، وبين تنشئة أو إنشاء العوائق الحائلة بين الإنسان وبين التَّزكية.

ومثل ما ذكرت في اللقاء الماضي، يا جماعة نحن نحاول نكون مركزين في نفس العناوين، يعني أنا إذا تكلمت عن عوائق التَّزكية، إذا ذكرت شيئا لابد أن أربطه بعوائق التَّزكية، لا يصبح الكلام فيه كلامًا عامًّا. لا، يعني الأعداء مِن جهة كونهم عائقًا وحائلًا عن التَّزكية، تمام؟

هذه الآن المصادر الأربعة التي سأتحدث عنها، في عوائق التَّزكية، ثم بعد ذلك مِن حيث المضامين يوجد خارطة واسعة، قد نبدأ ببعضها اليوم إن يسَّر الله ﷻ.

نرجع الآن إلى المحور الأول: عوائق التَّزكية مِن حيث مصادرها.

العائق الأول: النَّفس:

قبل أن أذكر تفاصيل متعلقة بهذا العائق، أريد أن أقول شيئًا: الإسلام، الوحي، يُعرِّف الإنسان على نفسه، والمنتجَات العلمية، السائدة اليوم، في الدائرة الأكاديمية خارج الإطار الإسلامي، تبني الحواجز بين الإنسان وبين نفسه.

"النَّفس" كثير مِن البشرية اليوم تسير في حياتها، وليس لديها تعريف حقيقي للنَّفس، ليس لديها تعريف أن النَّفس يمكن أن تكون أمَّارةً بالسوء، أو داعيةً إلى الخير، أو أن تكون مُطْمئِنة، أو أن تكون لوَّامة، أو نحو ذلك مِن النَّواحي الإيمانية الغيبية؛ فيسير الإنسان وهو يحمل نفسًا بين جنبيه، هذه النَّفس مُتَّصلة اتصالًا وثيقًا بعالم الغيب، وبالخير والشَّر، وكثير مِن البشر لا يُدرك هذا المعنى أصلًا، وليس مطروحًا في قاموسه، وإنما يتعامل مع النَّفس بما يمكن أن يقاس، أو لا يقاس، مِن الأمراض النَّفسية وما يتعلق بها.

أما القرآن –الوحي– الذي أنزله خالق النَّفس البشرية، فإنه يقول لك إن هذه النَّفس عالم فسيح، ومع هذه النَّفس أنت في رحلة، –دعنا نقول– رحلة مكابدة مع هذه النَّفس، ولذلك تجدون أن الله

سبحانه وتعالى ﷻ قد ذكر لفظ الجِهَاد أو المجاهدة، في شيء مُتعلق بالنَّفس، وذلك في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، وقد سبق الحديث عن هذه الآية، وأن المتَعَلَّق محذوف، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ ماذا؟ جاهدوا أنفسهم؛ فالذين جهدوا فينا الشياطين، الذين جاهدوا فينا المنافقين، الذين جاهدوا فينا الأعداء والكفار. فهذا تنبيه مهم جدًا، ولذلك تجد أن لفظ "جهاد النَّفس" هو لفظ مُتداول، ووارد في الحديث، وهو متداول في علم السُّلوك، ويتداوله علماء الإسلام بشكل كبير جدًا، قال الله سبحانه وتعالى ﷻ في سورة النازعات: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ هذه الآية –أنا أعتقد– أنها أهم آية قرآنية فيما يتعلق بالنفس تحت دائرة التَّزكية، وهي آية تثبت أن النَّفس لها أمر ونهي، وهي تثبت أنك يمكن أن تتحكم في هذا الأمر والنهي، وتثبت أن مِن أهم وسائل هذا التَّحكم في الأمر والنَّهي الموجَّه للنَّفس: هو خوف مقام الله سبحانه وتعالى ﷻ، قال الله سبحانه وتعالى ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ وهذا هو المحَرِّك، ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾، الله سبحانه وتعالى ﷻ يقول لك إن نفسك التي أودعها بين جنبيك جعل لها أهواء –مُشتَهيات–، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح في البخاري، قال: "والنَّفْسُ تَمَنَّى وتَشْتَهِي"، هذه النَّفس التي تَمنَّى وتشتهي مِن أعظم صور التَّكليف الإلهي للبشر، هو أنه جعل نفوسهم على هذه الأماني، والشَّهوات، وجعل وسيلة دخول الجنة هي القدرة على منع هذه النَّفس عن أن تأمر بخلاف ما أمر الله سبحانه وتعالى ﷻ، أو عن أن تنهى عمَّا أمر الله سبحانه وتعالى ﷻ به، لذلك يُقسم الله بـ:﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ إلى آخره، ثم يكون جواب القسم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ وتزكيتها: بالقدرة على نهيها عن أن تسير في هواها.

إذًا أنت يا طالب التَّزكية، يا طالب النَّجاة، في سيرك هذا يجب أن تستحضر أنَّ واحدة مِن المصادر التي يمكن أن توَلِّد العوائق، التي تحول بينك وبين أن تصل إلى التَّزكية، هي: النَّفس. فإذا غَفِلت عن هذا، فقد غَفِلت عن مصدر عظيم مِن مصادر العوائق، فتكون مِن جملة الغافلين، الذين تُوَلَّد لديهم العوائق، وهو لا يدري أنها عوائق.

العائق الثاني: الشَّيطان:

المصدر الثاني مِن مصادر عوائق التَّزكية: هو الشَّيطان. يا جماعة نحن موجودون في دار ابتلاء، دار ابتلاء حقيقية، وبقدر غفلتك عن معاني الابتلاء، بقدر ما تعيش مرتاحًا في هذه الحياة، راحة زائفة، راحة مُتَوهَّمة، راحة تظن أنها راحة، وبقدر ما تدرك حقائق هذا الابتلاء الذي تعيش فيه، تزداد عندك قيمة معالِم هذه الحياة، وتدرك أن الأمر حق، وأن الأمر مكابدة ومجاهدة، وأن الحياة ليست حياة نعيم، وأن الأمر عظيم.

يعني أن تُدرك أن النَّفس وحدها هي مصدر كبير للعوائق، ثم تدخل في عالَم مصدر الشَّيطان في عوائق التَّزكية، فتقول: كيف لي بالنَّجاة؟ فإذا ذهبت إلى البيئة والمحيط، تقول: وأنَّ؟!، فإذا ذهبت إلى الأعداء تقول: يا رب، تقول مثل قول إبراهيم عليه السلام:

﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ يوجد هناك أُناس يعيشون، وهم غافلون عن هذا كله؛ ولذلك تجدهم أبعد النَّاس عن إدراك الغايات الكبرى التي خُلِقوا لأجلها.

إن القرآن يُثبت لنا، وسنة النَّبي ﷺ تثبت لنا، أن **علاقة الشَّيطان بالإنسان:** علاقة مؤثرة، علاقة واسعة، ومُمْتدَّة، ومُتَّصلة مِن بداية حياة الإنسان إلى وفاته، وهي مِن جُملة ما نؤمن به مِن الغيب، وإنْ كُنَّا نلمس آثار وسوسة الشياطين وأذاهم في عالم الشَّهادة.

وحديث الرَّحمن عن الشَّيطان، حديث مُفصَّل، الله سبحانه وتعالى ﷻ يُبيِّن، بَيَّن لنا أولًا مركزية العداوة بين الإنسان والشَّيطان، فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾، وحين يأتي أهل النَّار إلى النَّار، يقول الله لهم: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾، وفي سورة الكهف: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾، **هذا مِحوَر مِن محاور حديث الرَّحمن سبحانه وتعالى ﷻ للإنسان عن الشَّيطان، مِحور "مركزية العداوة بين الشَّيطان والإنسان".**

وهناك محور آخر هو محور: وسائل الشَّيطان في التأثير والإغواء، وهذه الوسائل مِن أبرزها، التي كُرِّرَت في القرآن، ماذا؟ الوسوسة، وطريق خطوات: ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، وهذه الخطوات

الحديث عنها طويل جدًا -لا يتسع له هذا المقام-، لكن راجعوا كلام ابن القيم في "خطوات الشَّيطان" فهي ستة أو سبعة، لو تسجِّلونها عندكم، مهمة جدًا، ذكرها في "مدارج السَّالكين" كلمات مهمة وعظيمة.

وكيف أن هذا الشَّيطان يتدرج بالإنسان بالخطوات، وكيف أنَّ نَفَس الشَّيطان طويل، وكيف أنه يرضى أحيانًا بأقل النتائج، حتى لا يخسر على الأقل، وكيف أنه يعرف المداخل التي على الإنسان، فإن كان المنزع الذي يُمكن أن يدخل عليه منك، هو منزع الغلو يزيدك تديُّنًا، يعني يحُثُّك على مزيد من التَّدين، بطريقة ليست هي الطريقة الصَّحيحة، فيؤزّك نحو الانحراف عن السَّوية مِن جهة الغلو.

وإن عرف فيك التراخي والكسل والفتور أزَّك أزًّا إلى هذا التَّراخي، وزاده فيك، وهكذا.

وكيف أن الشَّيطان أحيانًا يرضى بنتيجة إشغالك بالمفضول عن الفاضل، إذا يئس من أن يوقعك في الكُفر، أو يئس أن يوقعك في البِدعَة، أو الكبائر أو حتى الصغائر، فقد يرضى الشَّيطان أن يُشغلك بالمفضول عن الفاضل، وتفصيل ابن القيم -رحمه الله- في خطوات الشَّيطان وتفاصيلها، هو مِن الأمور التي تدل على الفقه في الدِّين، ومعرفة الخِطَاب القرآني، واستقراء هذا الخِطاب.

إن **واحدة مِن وسائل الشيطان في الإغواء ونصب العوائق** -وهذا مهم- فعنوان المحاضرات: التَّزكية للمصلحين. فأنا سأُركز في بعض العوائق، فيما يتعلق بالمصلحين تحديدًا، بأصحاب الاستقامة، بمن يُريدون أن يُقدِّموا شيئًا. **هي الوسوسة** يا جماعة؛ فالشَّيطان إذا عرف أن باب الكبائر عندك مُغلق، فضلًا عن باب الإلحاد أو الشرك، وكان يتعب معك في قضية الصَّغائر، فكلَّما ظفر منك بزلة، مردغته في التُّراب بالاستغفار والتَّوبة والرُّجوع، إذا يئس منك في هذا يتَّجِه -غير قضية الفاضل والمفضول- إلى قضية التَّحزين والأذى الداخلي بالوساوس والخواطر.

- **أقسام الوساوس:**

هذه الوساوس والخواطر على قسمين:

١) **القسم الأول**: **وسواس عَقَدي**: وهذا له صور كثيرة، يمكن أن يأتي ويقول لك: أنت لديك شك. فتقول أنت-: والله ليس لدي شك! الشيطان: حسنًا، في ذلك اليوم أنت عندما جاءت هذه الآية، أنت فكَّرت أنه من الممكن بنسبة واحد فاصلة سبعة وثلاثون ألفًا (١،٣٧)، أنه قد لا يكونُ صحيحًا.

- أنت: حسنًا، أنا لم أُفكِّر، كانت فقط خاطِرة.
- الشيطان: لا، أنت فَكَّرت.
- أنت: حسنًا، فماذا يعني الآن؟؟
- الشيطان: أنت الآن وقعت في الشَّك.
- أنت: حسنًا، ماذا أفعل الآن!؟
- الشيطان: لابد أن تدخل في الإسلام مِن جديد.

هذا باب من أبواب الشيطان، وهناك أُناس يلقمون الطُّعم مباشرة، تمام؟، يقول: ها، أستغفر الله، أنا؟ لا، والله، ... ويدخل، فإذا الشَّيطان رآك أنك مِن الممكن أن تستجيب في هذا الباب، قال: يا حلاوة هذا تخصصي.

نعم هذه واحدة مِن أكبر تخصصات الشَّيطان، جيِّد؟ مِن أكبر التَخصصات، فله خبرة كبيرة وطويلة وعريضة.

ويمكن أن يأتي إليك من ناحية ثانية أيضًا عَقَديَّة، يأتي فيقول لك: الآن الخلود يعني الأبد، لكن البداية كانت كيف؟ متى؟ مَن خلق كَذَا؟ لماذا؟ كيف؟ ويدخل لك في هذا الباب. وقَدْرَ ما تعطيه يعطيك، بقدر ما تسترسل معه يعطيك، ثم تبدأ في رحلة...

يا جماعة مِن أكثر الأشياء المؤسفة التي كانت ولا تزال تصل -آخرها الأسبوع الماضي تقريبًا أو حتى من قبل ثلاثة أو أربعة أيام- على أسئلة النَّاس: واحد تَرَك الصَّلاة وأصبح لا يُصلِّي، طالب علم ومُلتزم ترك الصلاة يقول: أنا الآن لا أُصلِّي، لماذا؟ دخل في باب الوساوس.

٢) **القسم الثاني: وسواس في الطَّهارة والنِّيَّة وما يتعلق بها**، وأحيانًا يوصِل بين الطَّرفين؛ فيدخل بالوساوس العَقدية والفكرية، ويوصلها بوساوس الطَّهارة والصَّلاة، تعلمون أن هناك أُناس يعيشون رحلة عذاب حقيقية؛ فقبل الصَّلاة ساعة في الحَمَّام –دورة المياه–، وبعد الصَّلاة ولكي يدخل في الصَّلاة يحتاج إلى قصة، وكل جزء يُمكن أن يُسبب لك إشكالا في الصَّلاة مثلا يقول: هناك قطعة مرهم –دهان أو كريم– وضعته على يدي، ولا أدري أيصل الوضوء للجلد أم لا يصل؟ هناك كذا وكذا، إلى آخره... أو هناك قطة مَرَّت بالبيت، وأظنها ربما تركت أثر نجاسة في... وتظل تفكر فتصبح الصَّلاة لديك بدلا مِن–كما كنَّا نتكلم قبل قليل– ﴿تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالمنكَرِ﴾، تقف فيها بين يدي الله ﷻ وأنت خاشع، مطمئن القلب، مرتاح النَّفس، تشتاق للصَّلاة؛ على العكس تصبح الصَّلاة مرتبطة عندك ذهنيًّا بمسلسل شاق مِن الطَّهارة، والوضوء، والتَّأكد والملابس هل فيها شيء أم ليس فيها شيء؟ وربما خرج شيء وربما لم يخرج شيء، إلى آخره... فتحسب حسابا، وتحمل همَّ الصَّلاة القادمة، وتُصَبِّر نفسك بقولك هذا فرض، واجب، وتخاف مِن النَّار، إلى آخره، لكن ذهنيًّا ونفسيًّا صارت الصَّلاة عليك مِن أثقل ما يكون، إلى أن يصل الحال بالبعض إلى ترك الصَّلاة، وهذا تكرر بالنِّسبة لي، ووصلني أكثر مِن حالة بهذه الطَّريقة، يترك الصَّلاة .

وهذه القضية يعني قضية مِن جملة وساوس الشَّيطان، وهذا لا يلغي ولا ينفي أن يكون هناك بعض وسائل العلاج، مِن خلال الدَّائرة النَّفسيَّة، لكن دخول الشَّيطان في هذه المناطق، هو دخول أساسي ووثيق، وقال الله سبحانه وتعالى ﷻ :﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فواحدة مِن غايات الشَّيطان، إذا لم يستطع أن يأسِرَك في مُستنقع أو في سِجن الشَّهوات والمحرَّمات أن يُدخلك في مربعات التَّحزين. فحين تدخل في هذه المربعات: لن تكون مُصلحًا، ولن تكون أملًا، ولن تستطيع أن تتجاوز مشكلة نفسك، حتى تنقذ البشرية –بعد الله تعالى ﷻ–جيِّد؟، هذه مِن جملة عوائق التَّزكية.

لذلك يجب على الإنسان أن يستنير بالحلول الشَّرعية في هذه الأبواب، ويتعامل معها بطريقة المتشبِّث بالحل، الذي يُسلِّم أن ما جاء به الوحي في مثل هذه القضايا، هو حق، وإن خالف طبيعة ما يُصَوَّر له مِن خلال هذا الأذى.

ولكم أن تتخيلوا يا جماعة، وقد شَعَر الصَّحابة بالقسم الأول، الذي هو: الوساوس العَقديَّة، الشَّيطان استعمل هذا الأسلوب مع الصَّحابة، لكن وقت الصَّحابة كان الجواب النَّبوي بالنِّسبة لهم، يدخل في خانة التَّفعيل المباشر، فيسمع الجواب ويدخل في خانة التَّفعيل، فالمشكلة لا تأخذ أكبر مِن حجمها، والغريب هو الجواب النَّبوي –المدرسة النَّبوية العظيمة– يأتي الصَّحابة ليقولوا: "يا رسول الله إنَّا لنجد في أنفسنا، ما أن يَخِرَّ أحدنا مِن السماء، أَحبُّ إليه مِن أن يتحدث به"، يعني هناك وساوس تأتينا، عن الله سبحانه وتعالى ﷻ –عن الإيمان– هي أقبح وأشد وأغلظ، مِن أن يمكنني أن أتلفظ لك بها يا رسول الله، –بما يأتيني مِن الخواطر–

انظروا المستوى والجواب النَّبوي العجيب –والله غريب– وكما قلت فأنت تلتمس دلائل النُّبوة في بعض المناطق التي لا يشعر بها كثير، ولا يرونها، وهذا –كما قلت– ليس في مقام جدال المنكِرين والملحدين، لا لا، بل في سياق المؤمن الذي يستطيع أن يلتمس بعض الجوانب النَّبوية، التي هي في صميم ما يُثْبِت لك عظمة وربَّانيَّة هذا الدِّين العظيم، وتخيَّل الصَّحابة يأتون بهذه الطريقة، ويأتي النَّبي ﷺ يقول: "وقدْ وجَدْتُمُوهُ؟" هذا في صحيح مسلم، حديث صحيح، قالوا: نعم، قال: "ذاكَ صَرِيحُ الإيمانِ" ، انظر المفارقة: بين إنسان آتٍ بنفسيَّة أن يا رسول الله الموضوع أكبر مِن أن أقدر أن أتلفظ به –تعلمون صورها الآن عند كثير مِن النَّاس: هل أنا كَفَرت أم لم أَكْفُر؟– فيجيءُ ويقول لهم: "ذاكَ صَرِيحُ الإيمانِ".

وحين تكلَّم العلماء عن هذا الحديث، قالوا المقصود هو: طروء مثل هذه الوساوس عليكم، وكراهيَّتكم لها، ودفعكم لها، فهذا: "صَرِيحُ الإيمانِ"، وفي السُّنن حين جاء –أيضًا– الصَّحابة، فقالوا: يا رسول الله إنَّا نجد في أنفسنا، ما أن يكون أحدنا حُمَمَةً، أحب إليه مِن أن يتحدث به، فقال النبي ﷺ: "اللهُ أكبرُ، الحمدُ للهِ الذي ردَّ كيدَه إلى الوسوسةِ"، وابتدأ النبي ﷺ أصحابه أيضًا مُحَذِّرًا، فقال كما في البخاري: "يَأْتي الشَّيْطَانُ أحَدَكُمْ" وهذا فيه دليل واضح، على دور الشَّيطان في الوساوس الفِكرية والعقدية، قال ﷺ: "يَأْتي الشَّيْطَانُ أحَدَكُمْ فَيَقولُ: مَن خَلَقَ كَذَا؟ مَن خَلَقَ كَذَا؟ حتَّى يَقُولَ: مَن خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ باللَّهِ ولْيَنْتَهِ.".

كما قلت الجواب هذا كان بالنسبة للصحابة يتحول مباشرة إلى تفعيل.

لذلك يا درة الأزمان -كما يقال- أعني من يؤمَّل أن يكونوا من المصلحين؛ تنبهوا إلى حيل الشيطان في إقعاد الإنسان المسلم عن أن ينطلق في أفاق العمل، وفي أفاق التزكية وفي أفاق الإصلاح، عن أن ينطلق في هذه الأفاق بشَرَك الوساوس والأفكار، التي يمكن أن يؤسر فيها فلا يخرج. وإن أصابك شيء من هذا فيجب عليك أن تعلم أنك لست أول من يصاب، وأن الصحابة قبل ذلك قد تعرضوا لمثل هذا، فإياك أن تستجيب، إياك أن تسترسل، إياك أن تظن أن القضية أنك منافق، إياك أن تجيب بنعم أو بلا إذا قال الشيطان أنك كفرت، أو نافقت بمثل الوساوس والأفكار.

هذا أتكلم عن عالم الأفكار والوساوس، أما عالم الشهادة فله أحكامه، وله صوره المعروفة التي لا تلتبس بغيرِه.

مرة أخرى المصدر الثاني من مصادر توليد العوائق بينك وبين التزكية: الشيطان، والصور كثيرة جدًا جدًا ركزت على واحدة منها؛ لأننا في سياق الكلام عن المصلحين وهي: الوسوسة التي تُقعدك عن العمل، والوسوسة التي تدخلك في دائرة التحزِين، فبعضهم يجيء ويقول لك أنا كنت مؤمل ودخلت برنامج كذا ودخلت برنامج كذا، وبدأت بطلب العلم، ثم أصبت بوسواس كذا وكذا، والآن غاية أملي أني إذا أتيت أصلي، أني لا آخذ ثلاث ساعات ولا ساعتين قبل الصلاة وبعد الصلاة، ومعها في الوضوء والطهارة، فقط أريد أن أصلي يا أخي فقط أريد أن أصلي جيدًا.

أنظر كيف انتقل من ذلك الأفق العالي الواسع إلى ذاك الأفق الصغير الضيق، وهو من جملة مكائد الشيطان.

بوابة الشيطان مع الشهوات أيضا هذي بوابة كبيرة وضخمة جدًا، وفيها نصوص كثيرة لكن سأُرجئ الحديث عنها إلى المضامين بإذن الله تعالى ﷻ.

العائق الثالث: البيئة المحيطة:

المصدر الثالث من مصادر العوائق هو البيئة المحيطة. ويدخل في ذلك أمور كثيرة. فهل هذه مطلقة أم نسبية؟ نسبية ليست مطلقة وإنما نسبية، طيب النفس، الشيطان مطلقة ولا نسبية؟ مطلقة، فأي إنسان مكلف فالنفسْ والشيطان هما من مصادر عوائق التزكية بالنسبة له، هذا مطلق أما البيئة والمحيط فهي نسبية.

كل البيئات فيها تحديات لكن هناك نسبية: فقد تكون البيئة التي أنت نشأت فيها قد أنعم الله عليك بأن جعلها بيئة مساعدة للتزكية، وقد تكون البيئة التي نشأت فيها من جملة الابتلاءات التي عليك، بيئة عائقة أو معيقة عن التزكية، لكن الذي يجب أن يدركه الإنسان هو أن الوحي قد ذكر المعالم التي يمكن أن تستفيد منها في مختلف البيئات من ناحية التزكية. فأنت تجد مثلا ما يتعلق بالصداقة والصديق سواء من حيث الإرشاد الإيجابي أو من حيث التحذير السلبي، ستجدها في الوحي.

فتجد مثلا في سورة الفرقان قال الله سبحانه وتعالى ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾

هذه الآيات فيها فوائد كثيرة:

١) صديق السوء وأثره، وما يمكن أن يؤديه لك من الدخول إلى النار،

٢) علاقة الشيطان كمصدر بالبيئة كمصدر: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ أين خذلان الشيطان للإنسان هنا؟ هو تخذيل الشيطان للإنسان هنا أنه كان أمامه الطريقان، ففي أول الآيات يقول: ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾، وقال بعدها: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ هناك الرسول وهناك الذكر هذا طريق، وهناك أيضا الخليل السيء، فكان دور الشيطان هو تشويه هذا الطريق، وتزيين ذلك الطريق، وهذا خذلان الشيطان للإنسان.

نحن اليوم وإن كنا نتكلم عن سياق المصلحين، فنحن أيضا نتكلم عن واقع، فالبيئة فيه مليئة بالتحديات ومليئة بالعوائق، حتى يكاد يكون أكثر الناس لديهم في بيئتهم عوائق: فهناك كثيرون يجدون العوائق في العائلة، وهناك بعكسهم أناس عائلتهم أو عوائلهم هي الداعمة لهم في الخير، هناك آخرون يجدون المشكلة في بيئة المدرسة أو في بيئة الجامعة، وهناك آخرون لديهم بيئات بديلة؛ لذلك من أهم وسائل الضمانات في هذا العائق -والآيات قد أشارت إليه- هو ضرورة إيجاد بيئة للمصلح تكون معينة له على تجاوز تحديات نفس البيئة، إيجاد الخيار الإيجابي، الخيار الصحيح الحق، أن يعيش الإنسان في هذا الخيار، في هذه البيئة الصالحة، هذا الأمر في غاية الأهمية والضرورة بالنسبة للإنسان الصالح المصلح.

وهذا الخيار يجب ألا يكون محل تهاون، ويجب ألا يكون محل إرجاء وتأخير، ويجب أن يكون الصحبة الصالحة، الأخوة الصالحة، المحبة في الله، هذه البيئات هي من أعظم ما يعين الإنسان ليس فقط على تجاوز العائق الثالث وهي البيئة وإنما حتى على العوائق السابقة (النفس والشيطان)، وأنت تعلم أنك إذا خلوت بنفسك أن أمر نفسك إياك بالسوء أسهل من أمرها لك بالسوء وأنت مع إخوانك، وهكذا الشيطان.

لذلك الحل وهو واحد من أعظم الحلول هو ضرورة إيجاد البيئة الصالحة المحيطة بالإنسان، وأن هذا الخيار بالنسبة لحياته هو ليس خيارًا تكميليًا وإنما أساسي.

العائق الرابع: الأعداء:

المصدر الرابع من مصادر العوائق: هم الأعداء .وهذا مصدر نسبي أيضًا، والأعداء دورهم الأساسي هل هو في إقامة العوائق بينك وبين التزكية؟ أم في القضاء على الحق؟ ج: محاربة الحق، يعني أقصد في الأساس. مثلا ننظر دور الأعداء في وقت النبي ﷺ؛ أكثر دورهم هو محاربة الحق، وأحيانا محاربة الحق تزيد التزكية ولا تنقصها -ليس أحيانا- بل كثيرًا.

حينما تكون المواجهة صريحة بين الحق والباطل يرتفع التزكي والإيمان، وتظهر حقائق من الإيمان لا تظهر إلا في الصراع بين الحق والباطل، ولكن أحيانا يكون من أدوار الأعداء، وهذا وجد في وقت النبي ﷺ بصور معينة خاصة في اليهود وفي المنافقين، يكون من أدوار الأعداء: الحيلولة أو محاولة الحيلولة بين المسلم وبين الاستقامة على طريقه.

كالشبهات وبثها، مثلا: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ماذا: ﴿لعلهم يرجعون﴾ تمام ادعوا الإيمان ليصير اختلال في القضية، هذا يؤثر. قال الله سبحانه وتعالى ﷻ: ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ فيكم سماعون لهم ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ مع أنهم مؤمنين قد يكون هذا بسبب انسحاب المنافقين، هذا في غزوة أُحد. فالأعداء لهم دور.

يا جماعة اليوم دور الأعداء في إضعاف التزكية، والحيلولة بين المسلم وبين التزكية هو أكبر من أي وقت مضى، هناك مشاريع إفسادية مرتبة وشمولية للحيلولة بين المسلم وبين استقامته على دين ربه. وفيها صور كثيرة.

شهوات "على كيفك"، على مستوى عام: عبر مواقع وغيره، أو على مستوى خاص: عبر تهيئة الفساد، حتى أحيانا لأناس مصلحين بأعيانهم حتى يزلوا في مثل هذه المستنقعات وعبر الشبهات. مثلا حين تتكلم عن مرحلة القرن العشرين، والقرن التاسع عشر، حين تقول من هم أعداء الأمة الإسلامية؟ وما أبرز ما قدموه؟ لازم تذكر من؟ المستشرقون، صح أم لا؟ المستشرقون كان دورهم بث الشبهات، وبث الشبهات الذي قدمه المستشرقون نجحوا بالفعل في صرف أناس كثير من المسلمين عن دينهم، وعن الاستقامة، وعن التزكية بسبب الشبهات التي بثوها. وظهر عندنا طائفة وشريحة من العرب، والمسلمين التابعين لأولئك المستشرقين فكرا، ومنهجا، وعملا وهذا كله من جملة تأثير الأعداء.

اليوم مع كثرة الوسائل الإلكترونية خاصة، سهولة إيصال الشبهات والشهوات، -ويعني هذا فقط طرف الخيط وما يمكن أن يُرى- وإلا ففي الباطن أو لنقل في أروقة المفسدين من الكيد للإسلام

وأهله، وللمُصلحين وأهل الإصلاح في قضية الاستقامة والصلاح والإصلاح، ما لا يتصور؛ ولذلك يجب أن يعي الإنسان المسلم أن من أعظم عوائق التزكية: (مصدر الأعداء). ولهذا صور كثيرة لا داع لذكر تفاصيلها.

هذا المحور الأول وهو محور صغير، قصير، وسريع، ومستعجل، وفيه لفت انتباه إلى مجموعة مصادر، الهدف والثمرة من هذا العرض هو أن تدرك وأنت تسير في هذه الحياة، أنك تسير بين جملة تحديات كبيرة جدًا، وأنه لا ملجأ، ولا مخرج، ولا سبيل إلا بالتوكل على الله ﷻ والاعتصام به والاستهداء به والاستمداد منه سبحانه وتعالى ﷻ: ﴿وَلَولا فَضلُ اللَّهِ عَلَيكُم وَرَحمَتُهُ ما زَكى مِنكُم مِن أَحَدٍ أَبَدًا﴾ ،إذا قرأتم بداية الآية ستعرف العلاقة بينها وبين هذا الموضوع، ما البداية؟ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لا تَتَّبِعوا خُطُواتِ الشَّيطانِ وَمَن يَتَّبِع خُطُواتِ الشَّيطانِ فَإِنَّهُ يَأمُرُ بِالفَحشاءِ وَالمُنكَرِ﴾ لاحظوا هذا يأمر بالفحشاء والمنكر، وتنهى عن الفحشاء والمنكر؛ هي وطيدة في موضوع التزكية، فاربِطوا بين الآيات والنصوص.

المحور الثاني: عوائق التزكية من حيث مضامينها:

طيب المحور الثاني دون إطالة: هو عوائق التزكية من حيث مضامينها. كيف نقسم مضامين عوائق التزكية؟ ما الذي يمكن قوله؟ تنقسم إلى ماذا وماذا؟

أجاب طالب:(نفسية وخارجية)

طيب تقسيم آخر؟ ج: (شبهات وشهوات) جميل ماذا أيضًا؛ يا سلام ج:(داخلية وخارجية)، جميل...

التقسيمات صحيحة، نعتمد شيء داخلي وشيء خارجي من حيث المضامين، وفينا نعتمد شهوات وشبهات، وهو ما سنسير عليه إن شاء الله ﷻ.

مضامين عوائق التزكية الصادرة عن ماذا؟ عن الأربع مصادر:

١) النفس أو الهوى،

٢) الشيطان،

٣) البيئة،

٤) الأعداء.

ما يصدر عن هذه المصادر الأربعة هو في مضامينه قسمان: إما شهوات وإما شبهات.

وبما أننا نركز على التزكية للمصلحين فسأركزُ على أقسام في الشهوات والشبهات يمكن أن تكون ذات علاقة، **الشبهات التي سأذكرها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:**

١) شبهات فكرية عقدية،

٢) وشبهات نفسية،

٣) وشبهات منهجية.

وبالنسبة للشهوات سأقسمها لقسمين:

شَهوات ماذا وماذا؟ ج: (فطرية وخارجية)، أحسنت، ج:(شهَوات متعلقة بالقلب وشهوات مُتعلقة بالجوارح) يمكن أن نسميها جسدية.

هذه الآن خارطة عامة للمضامين.

عرض سريع لخارطة الشبهات:

• الشبهات الفكرية العقدية:

ماذا يدخل تحت الشبهات الفكرية العقدية؟ من أمور موجودة اليوم ومن الممكن أن تكون مؤثرة في الإنسان المسلم المصلح؟

ج: الإلحاد، التشكيك في السنة، إنكار بعض الثوابت الشرعية، سلطة الثقافة الغالبة، أفكار علمانية ليبرالية. ومن جهة أخرى أيضًا ماذا؟ الشبهات، الغلو والزيادة؟ عقدية.

• الشبهات النفسية:

الشبهات النفسية كماذا؟ الوسوسة ممكن؛ لكن الوسوسة أقرب للعقدية هو يعني ممكن تسميتها بالشبهات نوعا ما غريب، لكن هي شبهات فعلية، شبهات نفسية لكن يمكن تعرض على تحديات،

أنا طبعا ذكرتها هنا لماذا؟ هي طبعا جديدة نوعا ما، هي مرتبطة بالواقع الذي نعيش فيه، وترتبط بالملاحظة، يعني ملاحظة شخصية لاحظتها في المهتمين الجدد، طلاب العلم من الأجيال الجديدة؛ الشباب الأجيال الجديدة يعني ما دون ثمانية عشر أو عشرين، وما قارب ذلك -يعني الجامعة تقريبا-، وما حوله وما قبله فيه بعض التحديات والشبهات النفسية التي لم تكن حاضرة حضورًا واسعًا في الأجيال السابقة من المصلحين أو من المهتمين "شبهات نفسية" وهي ظاهرة وكثيرة منها: سؤال الثقة بالذات، وبالطريق.

وسؤال الثقة بالذات لا أقصد به عدم الثقة بالنفس؛ وإنما سؤال الثقة بالذات وبالطريق أنه يعني تأتي مضامين تشكيكية؛ أنه أنا لا أصلح، أو أنه ما يدريني أن طريقنا صحيح مثلا أو طريق الاستقامة، لكن لا تُعرض بناءً على معطيات معرفية، إنما تعرض بناءً على ضعف نفس، فأحيانا يلفت انتباهي مجموعة أسئلة غريبة، هي أسئلة جديدة ما كانت موجودة بكثرة سابقا.

(سؤال العجز والضعف) يا جماعة نحن في البرامج العلمية تواجهنا أسئلة -خاصة في الدفعات الأخيرة-، أسئلَة غريبة يعني لنقل مثلا طلب العلم سابقا -ليس بالبعيد يعني قبل خمسة عشر سنة، أربعة عشر سنة، هذه الحدود- ترى طالب العلم يأتي للمسجد يحضر الدرس هو يقوم بكل شيء، الشيخ فقط يعطي الدرس ويمضي، الطالب يكتب كل شيء ويلخصهُ، ثم تجده في آخر المسجد يحفظ ويراجع، وهو الذي يسأل، وكثير من الأحيان لا يجد تجاوبًا أو يتم زجره أحيانا، ويصبر وتلقاه محتسبا والأمور تمام ومجتهد، أما الآن:

- "ممكن تعطينا تفريغ المحاضرة؟"
- طيب أبشر نعطيك تفريغ المحاضرة.
- "ممكن تقول لي الأشياء المهمة في التفريغ الذي في المحاضرة"
- طيب هذه الأشياء المهمة، ثلاثة أشياء.
- "والله فيه اختبار يوم السبت لكن أنا لا أعرف ما الذي سأذاكره" -والله من جد يا جماعة!
- طيب عندك أنت خمس محاضرات، وكتابان وبرنامج واضح، ووضعنا ملخصات وفيه تفريعات ثم "طيب ممكن تقول لي المهم أنا ما أعرف ماذا أذاكر!" تمام؟

وقس على ذلك أسئلة كثيرة، إنسان يريد أن يكون مخدوم ومفصل له بتفصيل دقيق كل شيء، هو نفسيا يرتاح والحمد لله، وإذا ما كان في كل هذه المضامين يقول لك: "والله دخلت البرنامج، برنامجهم ليس واضحا، والله هم صراحة ناس جيدين، سمعتهم جيدة، وأعرف ناس من أصحابي استفادوا، لكن أنا دخلت وجدته غير واضح، حتى الجدول نزلوه ألوانه ما كان تصميمها حلو "ويا الله إذا كان هناك خطأ في الجدول:" قلتم لنا إنه يوم السبت الاختبار، الآن نزل الجدول يوم الثلاثاء" ...

هذا (سؤال الضعف والعجز) سؤال من أكثر الأسئلة مثال:"أنا ما أعرف، عندي كتاب كيف أقرأ الكتاب؟" وليس المقصود بـ(كيف أقرأ كتاب؟) هو مهارات القراءة العامة لا، أسئلة متكررة وكثيرة وصارت ظاهرة، لما تصير بصيغتها المعرفية العامة ما فيها إشكال؛ مثلا سؤال علمي عام عن الطريقة الأنفع لقراءة المطولات أو لقراءة الكتب المركزية، فيأخذ الأنسان الجواب وهو يجتهد، لكن أنت بعدما تشرح تقول:"طيب كتاب كذا يدخل كذا، تجيبه تمام، ثم يأتي واحد يقول :الكتاب الثاني يدخل ولالا؟" يا حبيبي اصبروا قليلا خذوا القاعدة العامة، أنتم انزلوا اجتهدوا، اغلط عادي... هذا إشكال.

هذا شيء ملاحظ الآن، أنا بالنسبة لي كمحتك. لنقل بجيل من طلاب العلم في البرامج، هذا الضعف والعجز بدأ يظهر ويطفو، وهو ليس بهذه الصورة فقط، أنا ذكرت الصيغ المعرفية، عموما فيه صور أخرى لا أريد الدخول بها، لكن أريد المصلحين ينتبهون إلى أن فيه تساؤلات جديدة وشبهات جديدة، والجيل الصاعد الناشئ، نحن مثلا كمربين للجيل أو كمتعاملين معه يجب أن نغطي هذه الملفات، لذلك أنا عملت مثلا: سلسلة سوية المؤمن، و في أول حلقة (الثبات) ذكرت عنوان (السوية النفسية)؛ أنه فعلا يوجد احتياج الآن ضروري لِذكر مثل هذه الملفات والموضوعات، وسابقا –كما قلت –ما كانت موجودة بشكل كبير، أنت الآن يعني– مثلا الشباب الموجودون هنا –لكن الآن الحمد لله سنتين أمورهم تمام–

من أول ما بدأت مثلا، تخيل لو عملت مرة واحدة "بموجب ما فعلوا" من أمور تستوجب ضرب الخيزران فلو أني مرة واحدة فعلت هذا خاصة في بداية السياق.

الأستاذ: ما كسرت قلوب، أنت تخاف أنه في بعض الدوائر يقول لك -كما قال بالأمس أحد الشباب-:" أنه بعد كم سنة يؤلف كتاب لماذا خلق الله الألم في الحياة"؛ لأنه أكل له ضربة خيزرانة صغيرة وهو في التحفيظ، بينما سابقا واحد يعني يتعرض لمشكلات وتحديات... إلى آخره.

إنه كان في مجاوزة ومبالغة وخطأ في هذا الجانب، لكن فعلا فيه قدر من الترف. أنا أذكر واحد من المشايخ، يقول يعني أنتم الجيل الجديد من طلاب العلم:"جيل المؤلفة قلوبهم" -والله يقول جيل المؤلفة قلوبهم- يعني لازم "تراعي وتنتبه وأنا لا أقصد كذا، يا شباب أنتم جيدين وأموركم تمام"- مداراة-، هو انعكاس لقضية، يعني نوع من أنواع الضمور النفسي أو الضعف النفسي، أو نوع من الهشاشة التي تحتاج تسوية أو سَوية، لذلك الشبهات النفسية -نحن ما بدأنا بالشبهات فقط نعرض الخارطة- الشبهات النفسية بالنسبة للسياقات الجديدة أو للأجيال الجديدة من المهتمين من طلبة العلم، من المصلحين هذا الملف ليس سهلا، وليس هامشيا وينبغي العناية فيه، و سنتعرض له إن شاء الله ﷻ بشكل سريع.

- **الشبهات المنهجية:**

ثم الشبهات المنهجية التي هي من أبرزها اليوم -بالنسبة لمن يريد أن يكون مصلحا-: (سؤال الجدوى) هذا السؤال من أكثر الأسئلة التي تتردد اليوم، يعني: "هل فيه ثمرة لو أنت اشتغلت الآن؟ عملت للإسلام؟ لا ترى الوضع كيف الآن؟ ألا ترى الواقع أعطني فقط بصيص أمل، لا شيء، يعني هل بالله فيه مجال الواحد يبدأ ويطلب العلم بعد خمس سنوات، وسبع سنوات ممكن يقدم شي ويبدأ؟ بالله لازال فيه أمل لا زال فيه جدوى؟"

هذا سؤال منهجي، وهذا السؤال ما قبل إحدى عشر، أو اثنى عشر سنة من الآن، لم يكن سؤالا شائعا، يمكن يكون سؤال عند بعض الأفراد بعض الناس، ولكن لم يكن سؤالا شائعا. كما في السنوات الأخيرة صار سؤالا شائعا، وأحيانا يكون شائعا لا ينص على إخراجه إنما أنت تلمس آثاره، ذلك الإنسان الذي كان يحترق هما، ويبذل ويتعب ولا يضيع أوقاته، ومتفائلا، تجده قد ضمر، وشحب، وترك، وصار بالكاد ممسكا بطرف الحبل.

وهذا سؤال منهجي أحيانًا قد يكون سببه هو: وجود مؤثرات خارجية قوية جدًا لم يكن مستعدًا لها، ولم يكن عنده جواب عن آثارها فيما لو حصلت، فهو كان يسير في حالة من الرخاء، وحالة من الأريحية، لم يكن هناك من التحديات الخارجية ما يستوجب عنده هذا السؤال.

فلما جاءت التحديات الخارجية وكسرت آماله، وحطمت الآفاق التي كان يسعى لها؛ نتج عنده هذا السؤال، فهو نفسي باعتبار الأثر الذي حصل له من أثرٍ خارجي، لكن صورته الأساسية برأيي ليست من الصورة الأولى أي (الشبهات النفسية الناتجة عن نفس محضة، ضعيفة، هشة لم تُربَ على درجة عالية من البذل، والعطاء، والتضحية والصبر) بالعكس هذا سؤال الجدوى قد يكون صاحبه –سائله– في نفسه قويًا، وقد يكون صبورًا، وقد يكون صاحب تجربة، وقد يكون بذل وقدم، ولكن نظرًا للظروف الخارجية المحيطة التي استجدت عليه، وعلى طريقه، لم يعرف كيف يمكن أن يتجاوز مثل هذه الأزمة، فقعد عن العمل، فهو سؤال منهجي أقرب منه سؤال نفسي.

أيضا من السؤال المنهجي: (قلق الوجهَة) أنا نزلت مقطع: "مفاتيح حول سؤال قلق الوجهة" لا يسأل في اتجاهات أساسية، لا، هناك فوضى في الأطروحات، هناك منابر كبيرة جديدة، فيه تضارب خاصة بين أطروحات التجديد والأصالة، هل نحن نسير في هذا النفَس مع هذا الطرح التجديدي والموَسِع، أو نسير مع نفس آخر، طيب هذا ما حدوده وهذا ما حدوده، هناك أسئلة منهجية من هذا الإطار.

هذا الآن عرض سريع لخارطة الشبهات –لم ندخل فيها– فقط عرضتها ووصفتها، ثم بعد ذلك إن شاء الله ﷻ في اللقاء القادم، سنتعرض لها بشكل فيه نوع من التفصيل مع بعض الحلول.

وبعد ذلك ننتقل للقسم الثاني وهو الشهوات: (القلبية والجسدية) وما يدخل فيها من أمراض القلوب مثل الكبر، والعجب، ولأننا نتكلم عن التزكية للمصلحين فسنركِز على بعض الأدواء: مثلا حب الجاه، والتصدر، يعني ما يتعلق بهذا الملف، سأتناوله إن شاء الله ﷻ في اللقاء القادم، كذلك التفرق، والتنازع، والحسد، وتصيد الأخطاء، هذا من جملة الشهوات القلبية– الأمراض القلبية–، وأما الجسدية فسأتعرض لها تعرضًا سريعًا بإذن الله تعالى ﷻ.

جزاكم الله خيرًا على الحضور وشكر الله لكم وشكر لكم سعيكم.